منطقة محررة

عندما تتحطم أسطورة البطل

نجم والي

أنها مفاجأة أخرى من العيار الثقيل، فما أن يهدأ الضجيج ضد كاتب من أحد البلدان الأشتراكية سابقاً حتى يبدأ ضجيج جديد ضد زميل له. في العام الماضي وفي هذا الوقت نفسه أثيرت الزوبعة على الكاتب التشيكي والمرشح الدائم لجائزة نوبل ميلان كونديرا، قيل أنه تعاون مع الشرطة السرية في شبابه، هذا العام الضجة طالت أديباً كان حتى وقت قريب يُنظر له أيضاً بصفته أحد ضحايا الأنظمة الديكتاتورية الشيوعية السابقة، الشاعر الروماني الألماني الأصل أوسكار باستيور. ربما لم تكن الضجة بهذا الحجم لو لم يكن أوسكار باستيور هو النموذج الذي بنت عليه صاحبة النوبل الألمانية الرومانية الأصل هيرتا مولر روايتها "أرجوحة الروح".

الآن تبين أن الشاعر الذي مات عام ٢٠٠٦ عليلاً في شقته الصغيرة في برلين كان قد عمل بصفته مخبراً وسنوات طويلة للشرطة السرية الرومانية سيئة الصيت "سيكوريتا".

أكثر من خمس سنوات عملت الروائية هيرتا مولر على جمع ودرس كل صغيرة وكبيرة في حياة صديقها الحميم أوسكار باستيور . في المرحلة الأولى عمل الإثنان سوية، كانا يلتقيان سوية، لكتابة القصة التي كان مخططاً لها أن تصدر بإسميهما معاً، في الحقيقة أرادا رواية قصته، كيف أنه إنتهى إلى أحد معسكرات الإعتقال الروسية في شبابه كجنسي مثلي روماني عند نهاية الحرب العالمية الثانية، وأي رعب عاشه هناك. لكن موت أوسكار باستيور في عام ٢٠٠٦ جعل هيرتا مولر تضطر لكتابة الكتاب وحدها، جاعلة من صديقها أوسكار باستيور الشخصية الرئيسية التي تروي على لسانها، فهل هناك أكثر قرباً بالنسبة لكاتب أكثر من تبنيه شخصيته بهذا الشكل، أن يمنحه ضمير الأنا الذي يروي القصة؟

كتاب "أرجوحة الروح" نزل للسوق في صيف العام الماضي ٢٠٠٩ (دار هانزير للنشر، ميونيخ)، وفي وقت قصير بعدها حصلت مؤلفته، هيرتا مولر على جائزة نوبل للآداب. فجأة خرجت الكاتبة من عزلتها والبحبوبة الأدبية الصغيرة التي عاشتها ولتصبح بين ليلة وضحاها كاتبة يُشار لها بالبنان في كل العالم،يتابع المرء حياتها ويدرس كل كبيرة وصغيرة فيها، كيف أنها نشأت في إقليم بانات شغابين الألماني في رومانيا، وكيف أن الشرطة السرية الرومانية "سيكوريتا" طاردتها وراقبتها وضايقتها، ما جعلها تضطر لمغادرة رومانيا عام ١٩٨٧ إلى ألمانيا الاتحادية، لكي تكتب الكتاب تلو الآخر، ١٥ كتاباً ، صحيح أنها حصلت عن طريقها على إعتراف النقاد بموهبتها لكنها لم تنجح بكسب جمهور كبير لقراءتها.

بعد حصولها على جائزة (نوبل) تصدر كتاب "أرجوحة التنفس"قائمة البيست سيلير على مدى أسابيع طويلة، فيما كف الشاعر أوسكار باستيور الذي تلبس شخصية البطل الرئيسية في الكتاب أن يكون صديق هيرتا مولر الحميم لوحدها، بل أكثر تحول إلى صديق حميم لملايين من القراء الذين شعروا به، شعروا بمحنته وقدره التعيس وهم يرونه يعاني اثناء سنوات إقامته في معسكر الاعتقال الروسي.

في الأقل كانت تلك هي الحال حتى أيام قليلة مضت، عندما تناقل الوسط الأدبي خبراً دار مثل النار على الهشيم، جعل العديد من الأدباء والمعلقين الثقافيين يصرخون بتلك الجملة: حتى أنت يا صديقي، جملة شبيهة بتلك الجملة التي أطلقها يوليوس قيصر ليلة مقتله: حتى أنت يا بروتوس!الخبر الذي وقع مثل الصاعقة على الجميع يقول ان الشاعر أوسكار باستيور عمل مخبراً سرياً للشرطة السرية الرومانية منذ عام عام ١٩٦١، تحت الاسم المستعار أوتو شتاين. وهي الصدفة وحدها التي قادت البروفيسور الألماني المعروف ستيفان سينيرث المختص بالدراسات الألمانية الى العثور على ملفه. ولكي نعرف مصداقية الخبر يكفي أن نعرف أن البروفيسور سينيرث هو مدير معهد الثقافة والتاريخ الألماني في جنوب أوروبا في جامعة ماكسيميليان في ميونيخ. مباشرة بعد سماعها الخبر لم تخف هيرتا مولر شعورها "بالرعب والغضب" كما صرحت للصحافة، لكنها لم تخف في الوقت نفسه شعورها بـ"المشاركة" الوجدانية، و"الحزن".

رعب، غضب، مشاركة، حزن، كل ذلك في وقت واحد، هو كثير جداً، كما علقت مجلة شبيغيل الألمانية التي تحدثت مع هيرتا مولر.وفي مقابلة مع الصحيفة الألمانية فرانكفورت قالت هيرتا مولر: "طبعاً أنها قضية مرعبة، أن يظهر ما هو مظلم من شخص ما نعتقد أننا نعرفه، أن يعرف المرء ما لم يتصوره، أن يعرف أن الشخص المعني من غير الممكن أن يكون بهذا الشكل". لكنها فكرت بعد ذلك بإمعان، وهي تعرف إلى أية درجة يمكن أن يكون شخص مثل أوسكار قابلاً للجرح وللإبتزاز بصفته جنسياً مثلياً في بلد مثل رومانيا الجنسية المثلية فيه تسبب سنوات حبس عديدة. من هذا المنطلق جاء تفهمها وحزنها.

في الملفات ذاتها وباستثناء تقرير مكتوب من أوسكار باستيور ضد موظفة كبيرة في وزارة الثقافة ليست هناك تقارير أخرى ذات وزن. المهمة التي ألقيت على أوسكار باستيور تركزت في المقام الأول على مراقبة المثقفين القادمين من الغرب وكتابة التقارير عنهم ولأن الشرطة السرية المختصة بالخارج هي المسؤولة عن هذه الملفات،فإن من غير الممكن الحصول عليها الآن. وحسب البروفيسور سينيرث لا يوجد في الملفات التي عثر عليها ما يشير إلى محاولة من جانب باستيور بإنهاء عمله كمخبر سري. عملياً انتهى عمله في عام ١٩٦٨، عندما سُمح له بالسفر إلى النمسا ثم إلى ألمانيا الاتحادية، حيث قرر البقاء.

أرنست فيشير صديق العمر لأوسكار باستيور والمشرف على نشر أعماله صرح لمجلة شبيغيل: "أعرف منذ وقت طويل، بأن هناك ما هو مشكوك به". وحسب قوله أنه عثر في صيف العام الماضي في أرشيف مدينة مارباخ (في هذا الأرشيف يُجمع كل ما له علاقة بالأدب المكتوب باللغة الألمانية)على بعض الملاحظات التي كتبها أوسكار في دفتر يومياته، والتي يتساءل فيها، ماذا سيحدث إذا تم الكشف عن الملفات؟ على المرء ألا ينسى بأن باستيور شاعر معارض للحكومة سنوات طويلة، "تمت مراقبته من جهات عديدة، وأن رحلته إلى ألمانيا كانت علنية".

في هذه الحالة ما الذي يبقى من القيمة الأدبية لكتاب "أرجوحة النفس"؟ كما تساءلت مجلة شبيغيل، هل يؤثر الكشف ذلك على قيمة الكتاب الأدبية؟ العديد من النقاد يتفقون في تعليقهم على أن هيرتا مولر روت القصة في الكتاب من دون تضخيم ومبالغة في وصف القدر الذي واجهه باستيور، ليس هناك ما يشير في الكتاب إلى محاولة منها بتبني ثقافة تأليه، أو إلى محاولة منها لوضع ماكياج أو تجميل تاكتيكي، الكتاب يحوي راديكالية شعرية لا ترحم. هناك من يقول أن من يستحضر حياة شخص ميت أدبياً، عليه أن يعرف الكثير، لكن ليس بالضرورة عليه أن يعرف كل شيء. مهما كانت القضية غريبة إلا أن ما يتعلق بحالة كتمان مهمة التجسس أو الصمت عنها هو ليس حقيقة الفن الخارجية بقدر ما هو حقيقته الداخلية. أي تأنيب للنفس لا يساعد على تغيير شيء.

قبل أيام أُفتتح بيت الأدب في برلين معرضاً عن حياة هيرتا مولر،عُرضت فيه صور ومخطوطات وعمليات كولاج لها إضافة إلى اضبارة حوت ٩٠٠ صفحة احتفظت بها الشرطة السرية الرومانية سيكوريتا عنها. في يوم الافتتاح الممطر وقفت مولر تحت المطر وقد لبست ثوباً أسود، وكان عليها مواجهة أسئلة الصحفيين الذين أجابتهم بالحرف الواحد : "ليس عليّ التنصل أو الإبتعاد عن أوسكار. وأنا ما زلت أعزه بكل الحب الذي كان لدي عنه من قبل". ثم أضافت وهي المعروفة بموهبتها في إختراع الكلمات جملة أخرى. كانت ما يشبه التقاطع، كما علق بعض الصحفيين، أو زلة لسان، كما قال آخرون، لكنها كانت بالضبط الجواب الصحيح، عندما وصفت القصة بأنها "تراوغيشه"، والتي تعني ترجمتها للعربية:أنها قصة خليط من تراجيديا وحزن، "تراجيحزينة".

ونحن في العراق؟ تُرى متى يمكننا أن نقرأ ملفات مخبرينا من الأدباء "الأصدقاء" في زمن صدام، لكي نعرف إذا كان بعضهم يستحق البكاء عليه، أو في الأقل لكي نصف حالته ونقول: أنها "تراجيحزينة".

في حشد من عشاق الرواية والأدب:

دار "وعد" بالقاهرة تحتضن حفل توقيع رضوى الأسود روايتها الأولى " حفل المئوية "

القاهرة/ محسن حسن

في أمسية ملامحها البساطة والحميمية ، حضرها عشاق الرواية الجديدة والأدب المعاصر ، واحتضنتها دار " وعد " للنشر والتوزيع بوسط القاهرة في السابعة والنصف من مساء السبت السادس عشر من اكتوبر للعام ٢٠١٠ ، وقعت الروائية الشابة رضوى الأسود روايتها الأولى المعنونة بـ " حفل المئوية " ، وسطرت بقلمها الخاص إهداءاتها الحارة لكل محبيها وقرائها ، وكم كانت حاضرة ومتألقة بطلتها الجميلة ، وحيائها المتواضع ، وهي مغمورة بفرح كبير بكل الحاضرين عامة ، وبأهلها وذويها بصفة خاصة ، وجدير بالذكر أن حفل توقيع الرواية ، قد شهد إقبالا كبيراً ضاقت معه قاعة " وعد " بزائريها وروادها من محبي الكاتبة وقرائها ، كما شهد أيضاً حضور كل من الناقد الأدبي إبراهيم عبد المجيد ، والناقد الأدبي سعيد الكفراوي ، اللذين متعا الحضور برؤية نقدية شاملة ومختصرة لأولى روايات الكاتبة .

تكوين وحدث

ابتدأ الناقد والروائي إبراهيم عبد المجيد حفل التوقيع بكلمة استهلالية ، عبر فيها عن سعادته الكبيرة بالكاتبة رضوى الأسود حيث أعرب عن إعجابه بفكرة الرواية التي ارتكزت على مخطوط تتركه أم البطلة لابنتها تعبر خلاله عن فضاء الحرية والديمقراطية التي حرمت منه ، وكذلك أثنى على قدرة الكاتبة في استغراق مضامين الكتابة الروائية من خلال فتيات غالبيتهن يعانين من الفشل في الحياة الزوجية ، أو في الحب أو من القهر ، كل ذلك في صوت خفيض بعيداً عن الشعارات والخطابية ، وهو ما مكن كاتبة الرواية من احتلال مكانة مميزة فوق سلم الفن الروائي الحديث المرتكز على الحدث والتكوين والشخصية ، ولم يخف عبد المجيد تحفظه على بعض تفاصيل ذكرتها الكاتبة خلال الرواية بحكم حرصها الفطري على كلامها المكتوب الذي يمثل قطعة منها ، وكذلك على توظيف الشعر في البناء الحدثي للرواية ، لكنه في نهاية استهلاله ورؤيته النقدية ، منح الكاتبة أعذار البدايات الأولى ، ناصحاً إياها بالحرص في الكتابات المستقبلية على عنصرى الاختزال والتكوين .

أسئلة مثيرة

ومن جانبه أعرب الناقد سعيد الكفراوي عن ترحيبه الشديد بكاتبة جديدة على سلم الأدب الروائي الحديث والمعاصر ، وعن سعادته بهذه الكاتبة . رضوى الأسود . التي استطاعت . على حد قوله . أن تثير في روايتها أسئلة مهمة للواقع والوطن ، وللإنسان المصري في لحظة فارقة من لحظات وجوده ، ورغم ثناء الكفراوي على لغة الرواية والتي وصفها بالـ" بديعة " ، إلا أنه اتفق مع ما أثاره الناقد إبراهيم عبد المجيد بخصوص جنوح الكاتبة للشعرية ومفارقتها النص الروائي من أجله ، لكنه من ناحية أخرى منح الكاتبة درجة الامتياز في أنها استطاعت لفت انتباه قارئها إلى ضرورة الاستمتاع ولو بلحظة أو يوم من الماضي الجميل ، وأنها من خلال ذلك الماضي الذي ينبعث من القلب في " حفل المئوية " طرحت أسئلة الحاضر من خلال فتيات في مدرسة فرنسية كل واحدة لها قصة وحكاية تصل إلى مشارف المأساة وحد الألم والحزن ، ويختم الكفراوي حديثه بثناء جميل على البناء الروائي للكاتبة ، والذي تمكنت بإدراك الكاتب الناضج من توثيقه وتجميع تلابيبه رغم اختلاف الشخصيات والأحداث ، وترسيخ الانشغال بالمتغيرات والقضايا الشاغلة للوطن ، بما يشي بـ " حلم بكاء " هو حلم البطلة بعالم أفضل ما كان عليه عالم الأم الراحلة .

طه سالم في مسرحيات جديدة

طوب أبو خزامة وصراع الحاكم والمحكوم

باسم عبد الحميد حمّودي

اصدر الفنان طه سالم حديثا الجزء الثاني من جهده المسرحي الجديد تحت عنوان (مسرحياتي) وضم كتابه الجديد مسرحيات (حصار بغداد أو طوب بغداد) و (أرواح هائمة) و(لوحة فنية) .ظاهر الأمر أن هذا الفنان الكبير الذي كتب لنا (فوانيس) في ستينيات القرن العشرين وعدداً مهما من المسرحيات الشعبية التي تمسك دوما بخط فكري ملتزم لم يجد ناشرا يطبع له هذا الجزء فقام بنشره من حساب مورده الضئيل (الراتب التقاعدي) في إصرار منه يعد مثارا للتقدير والإعجاب .

ان هذا النوع من الرجال يكاد يضيع وسط حشود من المحسوبين على الفن والثقافة وقد أخذوا حصصا لا يستحقونها هي حصص طه سالم وبدري حسون وأمثالهما .

طه سالم (لمن لا يعرفه) من مواليد ١٩٣٠ وأحد الخريجين المميزين في معهد الفنون الجميلة وهو مؤلف مسرحي معروف تميز بإنتاجه للكثير من المسرحيات الي نالت اعجاب من حضر عروضها ومن النقاد والفنانين ،وهو مخرج مسرحي وممثل نال جوائز متعددة عراقيا وعربيا ،وشارك طه سالم في تمثيل بعض الأفلام العراقية وظهر في الكثير من المسلسلات التلفازية، إضافة إلى انه أحد مؤسسي نقابة الفنانين وقد كان عضوا في أول مجلس مركزي لها .

نقف هنا مع واحدة من مسرحيات الجزء الثاني التي نشرها تحت عنوان (حصار بغداد أو طوب بغداد) وهي تتعرض إلى تفاصيل الصراع الدائم بين الحاكم والمحكوم عبر طرحها موضوعة حصار بغداد تاريخيا ودور طوب أبو خزّامة (الذي صنعه رجال شجعان) في تحقيق نصر اهل بغداد على مهاجميهم .

يصوّر طه سالم الصراع من عدة أطراف لا يكون العدو الشاخص فيها هو العدو الأساسي ،بل العدو هو الجهالة والابتزاز والاستسلام لمقدرات الامتداح والمشورة السيئة للحاكم الذي يرفض الاستماع إلى النصائح الشعبية ألاعن اضطرار واستحضار لمقومات الغدر بالقاضي الذي يمثل صوت الشعب وبالشباب الذين صمموا المدفع الجديد واكتشفوا خلال عملهم خبث من احضر لهم خامة العمل وغشه لمواده ،ولم يكن ذلك سوى الوزير الذي ساوم المهاجمين وغدر بالقاضي وبالصنّاع الشباب الذين أعادوا بناء ذلك المدفع (طوب أبو خزّامة) الذي استطاع هزيمة الأعداء .

هنا يتحول انتصار الشعب الى انتصار شخصي للسلطان ويعدم السلطان من قاتلوا من اجل حرية الوطن بتهمة الخيانة زورا ،وبذلك وبيد من استقوى يكتب تاريخ الشعوب وتستبدل الحقائق بـ(حقائق) أخرى أكثر بعدا عن الناس.

قدم طه سالم مسرحيته هذه على شكل لوحات يمكن استخدام الصورة السينمائية في لوحاتها الأولى ضمن الفصل الأول وكانت ارض العرض المسرحي محتشدة دائماً بالصراع بين الحقائق والاكاذيب ،فطلب الجماهير بإزاحة السلطان يتحول إلى دعوة له للاستمرار بالحكم على السنة الباشوات وقيادة القاضي للمقاومة تتحول الى مثلبة وخيانة ،وهكذا تستبدل (الحقائق) وتكون على شكل (حقائق) جديدة.

بهذه الصياغة –التي اختصرنا كثيرا في إيراد تفاصيلها – قدم مسرح طه سالم نموذجا متقدما للعرض المسرحي التاريخي المرتبط بهموم الناس ومشاغلهم ضمن رؤية جديدة لأسطورة طوب ابو خزّامة.

قصة قصيرة

السؤال

خوستو ارويو

ترجمة: عادل العامل

أول شيء تلاحظه هو عيناه.

مثل هذين البؤبؤين الناريَّين - رد فعلك المباشر هو أن تتجنبهما، لكن الرجل العجوز يعرف ذلك، و هو يبقى ينظر إليك إلى أن لا يبقى لديك من خيار سوى الرد على نظرته، حتى حين ترغمك النار في عينيه على التعرف على وجوده، و ذاك كل ما هناك، ليس غير.

حتى قبل الدخول فعلياً إلى الكافتريا، يبدأ الرجل العجوز بالتماس اتصال نظري بالناس الآخرين. أولاً مع الزبائن على يمينه، الذين لم يكونوا قد أعاروه انتباههم، نظراً لكونهم مشغولين بالأكل أو الدردشة، ثم مع الندل على يساره الذين يقومون، و هم بالملابس البيض، بالتعامل مع الأطباق و إثارة شهيات الحضور بالتساؤل على نحو ممتع : ما الذي تحب مع الروست (لحم البقرالمحمَّص)، الدجاج، أو لحم الخنزير .. رز، بطاطا، أم سباغيتي - ثم و هم يقدمون وجبات ضئيلة تؤكد الغش و تشدد كذلك على تفاهة أيّ احتجاج : أود فقط أن أراك تذهب إلى البيت لتتناول الغداء في زحمة المرور الشديدة هذه و ترى إن كنتَ ستعود إلى العمل في وقت مناوبة ما بعد الظهر!

و هكذا فادفع قدراً من المال، و كُل قليلاً، و اصبر على ذلك. ما الذي تحب مع الروست؟

لكن ليس هذا مع الرجل العجوز.

فحالما يظهر عند الباب، يفقد الندل مزاجهم الطيب، شاعرين بالضغط و هم يقومون بالخدمة، و كل واحد منهم يصلّي رجاء ألا يكون عليه أن يخدم الرجل العجوز. إن ملابسه بسيطة لكن نظيفة . و هناك شيءٌ ما في الطريقة التي يبدو بها، شيء ما في بدنه النحيف يشير إلى أنه مستعد لأية مواجهة - في الحقيقة، أنه يتوق بشدة إلى واحدة.

يلاحظ الرجل العجوز كيف يتعرف الندل على وجوده من الطريقة التي تتصلب بها أكتافهم و من فقدانهم المفاجئ الإيقاع، من افتقارهم إلى التنسيق في تقديم الصحون، و ملاعق الأكل، و الطعام. يلتقط الرجل العجوز عندئذ صينيته و يأخذ مكانه في الصف. يقف منتصباً، مشرفاً على منطقته، بينما هو يمسح بنظرته الكافتريا، و الندل، و لوحة الاعلانات بقائمة الطعام، و بيان الأسعار.

ثم يتّخذ، ماشياً ببطء، بتأنٍّ، خطوةً خطوة، وضعاً معيناً أمام النُّدُل، و يُصبح تحديقه أكثر ناريَّةً، و يعطي أمره بغلظة مشيراً بسبّابته اليمنى إلى الروست. فيخطو نادل بائس نحوه، و قد أصبح أسير نظرته، ليقدم له طبقاً بيده اليسرى و ملعقة كبيرة بيده اليمنى. و في هذه اللحظة الدقيقة، يهبط صمتٌ عظيم فوق الصف بينما الندل الآخرون، المرتاحون الآن، يقدمون الخدمة لزبائنهم.

يغمس النادل الذي يتولى خدمة الرجل العجوز الملعقة الكبيرة داخل المقلاة بالروست. و بمنتهى العناية، يستخرج رقيقتي روست، و احدة ... اثنتان.

لا أكثر.

رقيقتان : خفيفتان و شفّافتان.

يصبح تحديق الرجل العجوز أكثر ناريةً، و يعطي أمره بغلظة مشيراً بسبابته اليمنى إلى الروست.

فمن كل باون من الروست، يحصلون على مئة رقيقة و بأربعة دولارات للباون، و أربعة دولارات للطبق الواحد، و هكذا يبلغ ربح الكافتريا مليوناً بالمئة في هذا النموذج العظيم من الرأسمالية المتوحشة.

لكن حين يتقدم النادل ليغمس الرقيقتين في الصَلصة، ترتعش يده لأنه يدرك أن وقته قد حان.

صمتٌ تام. الكافتيريا كلها : الزبائن، و الندل، و أمناء الصندوق يستجيبون للصمت الذي يأتي من الصف. تذهب ضوضاء الصحون و الخلفيات؛ تذهب ضوضاء الدردشة، و طلبات الروست، أو الدجاج، أو لحم الخنزير. تتوقف كل شوكة، و ملعقة، و سكين في الجو بينما تتوجه جميع الأنظار نحو الرجل العجوز و الصف الساكن الحركة.

عندئذ يتعرف الكل على وجود الرجل العجوز و لا أحد يُمكنه أن يقول إنه لا يراه، مجرد ظلٍّ يمر به الواحد. و حين تتخلى عيناه الناريتان عن الأرض لصوته - و هو صوت ليس بالعجوز على الإطلاق، و إنما هو بالأحرى صوتٌ يعود إلى الرجل الشاب الذي كانه فيما مضى، و الذي هيمن سابقاً على الغرفة عند الدخول - ذلك الرجل الشاب في داخل جسم عجوز يحطم صمت الكافتريا بالسؤال الذي لم يكُن أحدٌ قبله قد تجرَّأ على صياغته :

- " أربعة دولارات لهاتين الرقيقتين العاهرتين من اللحم؟ ".

يصير الصمت أثقل في ما يبدو شبيهاً بفلم توقف فجأةً : فعند كل مائدة، تتوقف السكين عَن قطع شريحة اللحم، و لا تُبتَلع اللقمة الممضوغة، أو تغادر رشفة الماء أو القهوة الشفاه. الشيء الوحيد الذي يتحرك هو عيون الزبائن بالمئات تروح و تجيء من الرجل العجوز إلى النادل، و من النادل إلى الرجل العجوز، منتظرةً الرد على السؤال الذي كان قد صاغه كل واحد منهم منذ أن فتحت الكافتريا على الإطلاق، لكن خوفاً أو خجلاً، ظلَّ غير قادر على الإفصاح عنه.

لا يعود، و هو في الصف، و الصينية بيده، ذلك الرجل العجوز المزدرى من كل شخص - الرجل الذي كانوا يمرون به و كأنه شيءٌ بغيض، منتقدين إيّاه تقريباً حتى على الهواء الذي يتنفسه، على الحيّز الذي يُشغله، و ملتمسين منه تقريباً أن يموت، دفعةً واحدة و إلى الأبد، و بذلك يُمكن للشبّان أن يأخذوا مكانه.

غير أن النادل لا يردّ. إنه حتى لا يجرؤ على التطلّع إليه؛ يستمر فقط في غمس رقيقتي الروست في الصلَصة. ثم، و في محاولة منه لإنقاذ نفسه، كملجأ يائس أخير من أجل استعادة حياته العادية، و تواصله مع زملائه البشر، يرفع رأسه و ينظر بتعادل إلى عينَي الرجل العجوز و هو يرد بصوت خفيض على السؤال بسؤال آخر يرى أنه سينقذه :

- " ما الذي تحب، يا سيد، مع الروست : رز، بطاطا، أم سباغيتي؟ "

لكن الرجل العجوز مستعدٌ جيداً لأي تكتيك معطِّل، و بوجه خاص تكتيك صبياني كهذا، و ما من فرصة هناك، بموجب انتباه الكافتريا الكامل، الصمت الذي أنزله، ومع تطلع الجميع إليه و التعرف على وجوده - ما من فرصة هناك لأن يدعَ هذه المناسبة تنقضي مع تكتيك النادل المثير للعواطف.

فيتردد صدى صوته القاهر في كل أذن، عند كل مائدة و في كل ركن من الكافتريا و هو يصيح :

- " سألتك سؤالاً، يا هُولة : رقيقتان عاهرتان من اللحم بأربعة دولارات؟ ".

ينسحب النادل. متقبلاً كليةً هزيمته، يرمي الصحن برقيقتي الروست على مائدة و يفر من ساحة المعركة باكياً. يحافظ الرجل العجوز على مكانه في الصف، منتصباً، و الصينية بيده، منتظراً خصمه القادم - الخصم الذي سيكشف له سر رقيقتي الروست بأربعة دولارات - مع كامل ثقل الكافتريا على كتفيه، و مع كل الندل الآخرين المتجمدين في مجازاتهم إلى أن يأتي الطبَّاخ نفسه راكضاً من المطبخ ليخدمه.

يضيف الطبَّاخ، و هو يلتقط صحن الرجل العجوز، رقيقة روست أخرى.

- " مع كمية من الصلصة على رزّي ".

كانت تلك كلمات الرجل العجوز الفاصلة و الصف يتقدم، و إيقاع الأطباق و الترتيبات ، و الناس الذين يقطعون، و يمضغون، و يبتلعون، و يدردشون، يملأ المطعم مرة أخرى.

من ذلك اليوم فصاعداً، تقوم الكافتريا بتقديم ثلاث رقائق من الروست.

و من ذلك اليوم فصاعداً، أيضاً، ينتظر الزبائن متى يطلب فيها الرجل العجوز طبقاً من الدجاج.

×××××××

× الكاتب من بنما. و قد نشر عشر روايات و ستة مجلدات من القصص القصيرة، و كان سفيراً لبلاده إلى كولومبيا، و مثّل بنما في مؤتمرات في أميركا اللاتينية، و أوروبا، و آسيا، و أفريقيا.

قراءة

(قهوة سادة)... كتاب يبشّر بالحرية والحب والحياة ودهشة التفاصيل في بيروت

مازن لطيف

"قهوة سادة" هو كتاب جديد للشاعر والإعلامي زاهي وهبي، يتناول أحوال المقهى البيروتي من وجهة نظر تحليلية/ نقدية، انطلاقا من معايشة المؤلف اليومية للمقهى على امتداد ربع قرن من المياومة في مقاهي المدينة المطلة على "شارعها" المكتظ دائما بأحداث وتحولات، العامر بأنواع وضروب من النقاشات والسجالات التي تتجلى بوجوه مختلفة تبدأ بجلسة حوار إلى فنجان قهوة صباحي على رصيف شارع الحمرا.

في مقدمة الكتاب التي قامت بتقديمه رابعة الزيات كتبت ان علاقة زاهي وهبي بالمقهى علاقة المثقف بالمكان الذي يجمع في آن واحد سحر الاختباء وغواية الظهور .. توق الشاعر إلى الوحدة الداخلية وإنجذاب الإعلامي للضوء.. المقهى بالنسبة لزاهي ليس مكاناً لتبديد الوقت وقتل الملل أو مكاناً للنميمة والقيل والقال، إنما مكان للتأمل والانتاج والتفكير، مكان للعبور إلى الداخل الجواني، وسط الضجيج وطقطقة فناجين القهوة والشاي وحركة الناس والنادلات والندلاء وابتساماتهم التي تشي بالدفء والحماسة..

يرى وهبي ان الصلة الوثيقة بين القهى والمدينة وما يدور فيها، ليست طارئة أو مستجدة، عمرها من عمر المقهى نفسه، كم من مقهى ارتبط اسمه بسياسي ما أو شاعر ما أو جماعة ما . ليس الآن، بل منذ اربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، حيث لا يزال لأسماء ومقاهي تلك الحقبة رنين خاص وصولاً إلى الستنينات والسبيعنيات من ذلك القرن، وما شهده من تحولات طالت البنى الاجتماعية والسياسية، ومع تلك التحولات ذبلت أمكنة واخضرت اخرى ، لم يبقَ من عناوين تلك الايام وما أعقبها إلا الأسماء لمقاه ومطاعم كانت علامات زمانها: الباريزيانا، اللاروندا، الحاج داوود، فلسطين، البحرين، فيصل، كوكب الشرق، النجار، القزاز، فاروق، الروكسي، الهورس شو، الأنكل سام.. وسواها من أمكنة كانت عامرة بالأنس والجان، أنس التلاقي والحوار وجان الأفكار والإبداع .

ويرى وهبي ان مقاهي بيروت كائنات حية تعيش اقدارها ومصائرها، تُعاند حيناً، تستلم أحياناً، يمضي بعضها الى قدره المكتوب، ويجدد البعض الاخر شبابه وهندامه محاولاً مجاراة الأيام، فحال المقهى من حال المدينة، وما يجري ويدور على الطاولات وفيما بينها، انعكاس حي لما يدور هناك في المقهى الأوسع المسمى حياة يومية..

عند الحديث عن المدينة، يحضر المقهى تلقائياً كما يرى وهبي، فلا مدينة بلا مقهى، المدينة بدون هذا ناقصة، ليست مدينة، مثلما لا مدينة بلا مسرح او سينما أو موسيقى أو شعر او رسم أو موضة او عطر، ميزة المقهى البيروتي انه يتسع ليكون مطرحاً لكل الإبداعات المذكورة، فكم من القصائد كتبت في المقهى، على الطاولات أو في المخيلة، كم من الروايات ومن المسرح والتشكيل والتجارب ولدت في المقهى، فالمقهى مساحة حرية، فلا حسيب ولا رقيب، تُبسط الآراء والأفكار والمواقف على الطالات التي تتسع لكل الأضداد والتناقضات.

في المدينة لا بدّ أن تذهب الى المقهى، أي مقهى، تذهب، ثم تعيد الكرة، وتذهب مجدداً، وتعيد ثانية، ثم سريعاً، يتحوّل الأمر نوعاً من الإدمان، نوعاً من العادة التي كأنها قديمة وغير طارئة وغير مستجدة. وكأن المكان هنا حيث الكرسي والطاولة والفنجان والمنفضة والنادل والرواد وحركة الشارع خارجاً خلاصة لأمكنة كثيرة عرفها زاهي وهبي من قبل وتردد عليها والفها وأدمنها ويذكر وهبي انه لا يمكن ان يعرف المدينة اذا لم يعرف مقاهيها .

قهوة سادة هو كتاب حب لبيروت ومرآة لها، هو دعوة للحياة مقابل دعوات الموت الكثيرة، فموت المقهى هو موت المدينة، فلا مدينة بدون مقهى، ولا مقهى بدون مبدعين وشعراء يجيدون الحياة وأنسنة الأمكنة ..